دراسة الرفض والمقاومة في شعر أحمد مطر

الباحث محمّد أمين احساني اصطهباناتي
الأستاذ المشارك عنايت الله شريف پور
الاستاذ محمّدرضا صرفي
قسم اللغة الفارسية وآدابها/جامعة الشهيد باهنر كرمان الإيرانية/ايران

الملخص:-

يعكس أدب المقاومة والصمود روح رفض الشاعر والكاتب أو احتجاجهما للعوامل السياسية والاجتماعية والاقتصادية المسيطرة. تظهر أوجه الشبه الموضوعية بين أعمال الشعراء العرب الاختلافات والتشابهات في مشاعر وأفكار أهل تلك البلاد. يدرس هذا المقال مواضيع الشعر الساخرة والمقاومة لأحمد مطر معتمداً على المنهج الوصفي التحليلي. تشير نتائج هذا البحث أنّه يمكن رؤية مضامين شعرية مثل حب الوطن والحرية ومقارعة الظلم والفقر ورفض الواقع المأساوي المسيطر في قصائد الشاعر. ترجع اختلافاته مع الشعراء الآخرين أيضاً إلى اختلافاتهم المكانية وخبراتهم وموقعهم السياسي والاجتماعي. لكن لتعبير أحمد مطر روحاً ثورية ويحاول أن يعبر عن معاناة مواطنيه والمجتمع العربي في شعره بوضوح.

كلمات مفتاحية: الشعر العربي، الرفض، الأدب المقاوم، أحمد مطر.

تاريخ الاستلام: ٢٠٢١/١١/٠٦ **تاريخ القبول:** ٢٠٢٢/٠١/٢٠

The content and themes of Ahmad Matar's satirical poems

Researcher.Muhammad Amin Ehsani Eshtabanati
Associate Professor.Enayatullah Sharif Por
Professor. Muhammedza Sarfi
Department of Persian Language and Literature/ Shahid Bahner Kerman University, Iran/ Iran

Abstract:

The literature of resistance and stability reflects the spirit of criticism or protest of the poet and writer against the imposed political, social and economic factors. The thematic similarities between the works of Arab poets show the differences and similarities in the feelings and perceptions of the people of those lands. This article compares the themes of satirical poetry and Ahmad Matar's stability, with a descriptive-analytical method. The characteristics such as patriotism, freedom, poverty and injustice, dissatisfaction with the situation were found in the poet's poems. His differences with other poets are also due to their spatial differences and their experiences and political and social position. But Ahmad Matar's expression has a revolutionary spirit and he tries to express and reflect the suffering of his compatriots and the Arab society in his poetry with an explicit language.

Keywords: Arabic literature, satire, sustainability literature, Ahmad Matar.

Received:06/11/2021 **Accepted: 20/01/2022**

المقدمة:-

لا شك أنّ الشعر من أعظم المظاهر التي توقظ الناس ضدّ إرادة الطغاة الذين لا يعرفون إلا الظلم والقتل. الناس الذين يرسمون حياتهم الحقيقية في الشعر؛ أدبهم هذا هو صرخة الشجعان على الظالمين، وصراخ المظلوم على الغاصب الجائر الذي يدعو الناس إلى نبذ الذل والهوان. هذه المواضيع لها مكانة خاصة في نشوء أدب المقاومة. بل إن الأدب المقاوم يحاول تسليط الضوء على البقع المظلمة في حياة المجتمع بقصد إصلاحها واستخدامها كسلاح لافت للنظر وفعّال للرفض والنقد. إذ أنّه في بعض الأحيان يحتاج المجتمع المعذّب والمأزوم إلى شرارة لإحداث ثورة عامة واضطرابات شاملة، وهذه المهمة هي مسؤولية أهل الأدب والفن» (صدقيانزادة، ١٣٩١: ١٨٦)

نشأ تاريخ الأدب المقاوم في شكله الحالي بعد استعمار الدول الغربية وغلبة المشاعر القومية على شعوب الدول المستعمرة تحت الظروف المأساوية القائمة. بعد الحرب العالمية الثانية تسببت أحداث مثل الاحتلال والاستعمار والاستبداد في ظهور أعمال أدبية تتحدث عن ظروف المجتمع الخانقة والقمع والاستبداد الداخلي والخارجي وإلخ في شكلي النثر والشعر. هذا وقد يكون لأحمد مطر أحد الشعراء العراقيين دور كبير وبارز في الشعر العربي الاجتماعي الرافض لاسيما في أحداث الربيع العربي بين عامي ٢٠١١-٢٠١٠. (اغبارية[١]، ٢٠٢٠: ١٤٢)

ولد أحمد مطر عام ١٩٥٤ في قرية تسمى التنومة من أرياف مدينة البصرة. بدأ مطر في كتابة الشعر وهو ابن الرابعة عشرة من عمره. كانت قصائده الأولى رومانسية قبل أن يتحول إلى السياسة كموضوع رئيسي في قصائده. بسبب انتقاداته الشديدة للأنظمة العربية أُجبر على الفرار إلى الكويت واستقر في لندن في نهاية المطاف.

كانت قصائد أحمد مطر لسان حال الشعب العراقي وشعوب الدول العربية الإسلامية الأخرى التي فقدت كيانها في ظل الديكتاتورية على سبيل المثال في قصيدة بعنوان "خمسة الأشرار"، يروي الشاعر قصة خمسة ديكتاتوريين عرب وهم: الرئيس التونسي الراحل بن علي، والزعيم الليبي الراحل معمر القذافي، والرئيس المصري الراحل حسني مبارك، والرئيس اليمني الراحل علي عبد الله صالح، والرئيس السوري بشار الأسد.

"جاء الخمسة من صحراء/سكنوا بيتاً بالإيجار/جاؤوا عطشى جوعى هلكى/كل منهم حاف عار/يكسوهم بؤس الفقراء/يعلوهم قتر وغبار/ربّ البيت لطيف جداً/أسكنهم أعلى الدار/خرج المالك من منزله/سرق الخمسة قوت الأسرة/واتهموا الطفلة أبرار/ثم رأوا أن تنفى الأسرة/واتخذوا في الأمر قرار/طردوا الأسرة من منزلها/ثم أقاموا حفلة زار»

إنها استعارة لكيفية وصول هؤلاء الدكتاتوريين إلى عرش السلطة من خلال الانقلابات أو تزوير الانتخابات وكيف انتهى مصيرهم في أعقاب أحداث الربيع العربي، وهو سلسلة من الثورات التي هزت بعض الدول العربية. (مطر نقلاً عن: حسين بن لازارك، ٢٠١٦: ١)

هدف البحث ومنهجه

يهدف البحث هذا إلى دراسة محتوى الرفض والمقاومة في شعر أحمد مطر لذلك يدرس هذا البحث هذا الموضوع معتمداً على المنهج الوصفي التحليلي. لذلك اخترنا أولاً بعض قصائد أحمد مطر السياسية ثم درسنا الرفض والمقاومة في قصائده السياسية التي تشتمل على المضامين المقاومة والرفض السياسي والنقد الاجتماعي.

خلفية ظهور الأدب المقاوم في الأدب العربي

لشرح خلفية هذه الدراسة، يتم إجراء مناقشة موجزة بشكل عام حول العلاقة بين اللغة والتاريخ، وخاصة اللغة العربية والتاريخ بإيجاز.

اللغة ليست فقط أداة أو رمزاً، ولكنها تمثل أيضاً روح الأمة (هارل شالف[٢] ودافنا – تكوا[٣]، ٢٠١٦: ١٧٥؛ كوك[٤]، ٢٠٠٠: ٣١٨) الأدب العربي التقليدي هو مرآة للمجتمعات العربية وحياتها، بما في ذلك الحياة السياسية والاقتصادية والثقافية والحضارية. وفي هذا الصدد استعرض صلاح الدين محمد والحاج أحمد كيف تصنع اللغات مثل هذه المرايا؛

للغة أهمية خاصة، لأنّ اللغة وسيلة للتعبير عن المشاعر وعواطف الإنسان وتخيلها. وهكذا، فإنّ اللغات مرآة لحياة الأمم والشعوب. في هذه المرآة يمكننا أن نرى الصور التي تحولت إلى ثقافتهم وحضارتهم ومناطقهم الجغرافية وتطورهم وعاداتهم بشكل كامل. "مثل: أفراحهم وأحزانهم، مجتمعاتهم واقتصادهم، ثرواتهم الطبيعية الحية وأسباب وفاتهم. (صلاح الدين محمد والحاج أحمد، ٢٣: ٢٠١٧)

بينما ركز الشعر العربي في القرنين التاسع عشر والعشرين على القومية وانهيار الإمبراطورية العثمانية، أما في القرن الحادي والعشرين راح يدرس كل من القومية والقضايا السياسية أيضاً وينعكس ذلك بوضوح في العديد من أوائل الشعر العربي الحديث. شهد القرن الحادي والعشرون تطورات جديدة في الشعر العربي ركزت على القضايا القومية والسياسية مما مهد الطريق للشعر الثوري في قصائد تتحدث عن الحب والأفكار الرومانسية(سيمون[٥]، ٢٠١٥: ٢) الشعارات السياسية التي استخدمها المحتجون في بداية الربيع العربي كانت من أوائل الشعر السياسي العربي الجديد واستخدمت فيما بعد على شكل مقاطع فيديو على موقع يوتيوب ومباريات شعرية تلفزيونية وغيرها من وسائل التعبير. تجاوزت هذه الشعارات الحدود وانتشرت صرخة المعارضة والثورة "الشعب يريد إسقاط النظام" في جميع أنحاء الوطن العربي. وهذه كانت رسالة توضح بوضوح أنّ الشعب يريد ببساطة إسقاط الأنظمة". (المصدر نفسه) راشد الخالدي يكتب عن هذه الشعارات قائلاً:

من أكثر الشعارات شيوعاً أينما تحدثت بالعربية، من المغرب إلى البحرين، هتفها الثوار التونسيون أولاً ثم إخوانهم وأخواتهم في مصر: الشعب يريد إسقاط النظام. مهما كانت النتيجة، فهذه الأحداث لا تؤكد فقط التطلعات المشتركة نحو الحرية والسلام بل تؤكد كرامة جيل كامل من الشباب العربي، ولكن أيضاً تؤكد على

وجود فضاء عربي عام مشترك. على الرغم من أن هذا يرجع إلى وسائل الإعلام الحديثة، بما في ذلك التلفزيون والأقمار الصناعية، فمن الخطأ التركيز كثيراً على ميزات التكنولوجيا. (نقلاً عن: سيمون، ٢٠١٥: ٢-٣)

في العقد الأول من القرن الحادي والعشرين، الحدث التاريخي المهيمن في الشرق الأوسط كان ثورات ٢٠١٠-٢٠١١، أو ما يسمّى بأحداث "الربيع العربي"[٦]. يصف لانشوفيتشينا[٧] هذه الثورات ويقر بأهميتها وتأثيرها قائلاً:

فاجأت احتجاجات الربيع العربي معظم العالم وأطلقت سلسلة من الأحداث التي غيرت مجرى التاريخ في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا. (لانتشوفيتشينا، ٢٠١٨: ٢٤)

وبالتالي، يمكن توقع أنّ القصة والأدب يمكنهما أن يمثل الأحداث السياسية والاجتماعية التاريخية بشكل معقول. لذلك فإن أصغر التفاصيل مهمة جداً في سياق العلاقة بين التاريخ والأدب والشعر.

الخط يتصل بخط وتخرج من كلّه الصورة الحية والملونة كما هي في الواقع. (تان بوم[٨]، ٢٠٠٢: ٣٨٦)

بناءً على ما قيل، تغيرت طبيعة الشعر السياسي العربي بشكل كبير في القرن الحادي والعشرين وهذه التطورات ما زالت مستمرة. حيث سيطرت النزاعات الدينية والسياسية والإقليمية على الشعر العربي، وغالباً ما يكون هذا النوع الجديد من الشعر عدوانياً ورافضاً بطبيعته.

شخصية أحمد مطر السياسية

على الرغم من كونه شاعراً عراقياً، إلا أنّ أحمد مطر لم يركز على القضايا العراقية في شعره فحسب، ولكن كان يركز على العالم العربي والإسلامي أيضاً في قصائده حيث أصبحت أحداثهما همّه الأول والأخير. (فتحي دهكردي والزملاء، ٢٠٢٠: ١٧٠)

كما ذكرنا في موضوع ظهور الربيع العربي في الأدب، ينبغي القول إنّ أحمد مطر لعب دوراً قيماً في الربيع العربي وذلك من خلال دعوة الحكام القمعيين لمغادرة بلدانهم والتخلي عن قوانينهم، إذ إنّه رأى رحيل هؤلاء المستبدين أفضل مخرجاً من هذه الأزمات. يختتم قصيدته بهذه الصور الشعرية مستخدماً الموروث التاريخي قائلاً:

«لم يعتبروا لكن صاروا/ فيها كحجا والمسمار/ اخرج يا هذا من داري!/ لن أخرج إلا بحوار/إرحل هذي داري إرحل/لن أرحل إلا بالدار/إمّا أن تتبع مسماري/أو أن أضرم فيها النار»(نقلاً عن أغبارية، ٢٠٢٠: ١٤٤)

ومن المثير للاهتمام أن الشاعر هنا يشير بعمق إلى شيء لم يقل من قبل. بمعنى أن الشاعر يتحدث عن التغييرات الثورية الشاملة التي يحتاجها الثوار العرب. في الواقع، في رأيه تتطلب الثورة رحيل جميع المسؤولين وصاحبي المناصب فيما يمكن تسميتهم بالدولة العميقة.

بالإضافة إلى ذلك، يوضح هذا النص الشعري مدى التزام الشعراء بالقضايا والأجندات الوطنية والقومية. في هذا الصدد، يبدو أنّ القصيدة المعنية تخلق الصورة الاجتماعية - القومية العربية وموقفها من الأنظمة العربية والحكام الديكتاتوريين العرب. (جلوزمان[٩]، ٢٠١٢: ١٧٢)

في الحقيقة، أحمد مطر هو رمز لتمرد الشعر السياسي، لأنه ينقل صوت الجماهير وهمومهم ولأنه هو لسان الأمة في التعبير عن آلامها، فقد اشتهرت أشعاره وانتشرت في كل لغة. وهكذا وجه نقده الحاد مباشرة إلى الأنظمة السياسية وهذا هو سرّ شعبيته بين الجمهور. (إيراني، ١٣٩٤، نقلاً عن فتحي دهكردي وآخرون، ٢٠٢٠: ١٧٠) اعتبر أحمد مطر الحكام العرب جلاوزة الولايات المتحدة ووصف خضوعهم وتبعيتهم لهم على النحو التالي قائلاً:

«رأت الدول الكبرى/ تبديل الأدوار فأقرت إعفاء الوالي/ واقترحت تعيين حمار!/ ولدى توقيع الإقرار/ نهقت كلّ حمير الدنيا باستنكار/ نحن حمير الدنيا لا نرفض أن نتعب/ أو أن نُركب/أو أن نُضرب/ لكن نرفض في إصرار/ أن نغدو خدماً لاستعمار/ إنّ حموريتنا تأبى/ إن يلحقنا هذا العار!» (مطر،٢٠٠٨: ١٤٣)

ومن المثير للاهتمام أيضاً أن نرى كيف تروي هذه القصيدة عن الشعوب العربية وتاريخهم ومستقبلهم وهويتهم الجماعية. يشعر الشاعر بألم عميق في أذهان العرب وتجاربهم، لكن هذا الألم الذي يشعر به لن يكون ممكناً دون أمل الخلاص ومستقبل خالٍ من المعاناة،ومستقبل يملأ من الشعور بالأخوّة العربية. إذا وجّه الرفض واحتجاج إلى المجتمع النائم ومن أجل مستقبل الأخوة العربية، فإنّه يوجّه رفضه إلى حلم تقصير الناس وغفلتهم ويقول في هذا الصدد:

«فلماذا لا يصحوا الشعب/ ولماذا تُدخل «أبرهه» فى كعبتنا/ ونؤذن: للعكبه ربّ؟/ نحن نفوس/ يأنف منها العار/ ويخجل منها العيب/ ويمرض فيها الطلب/ حقّ علينا السيف.../ لا ذنب لنا، لا ذنب لنا/ نحن الذنب! » (مطر، ٢٠٠٨: ٤٢)

واحتج مطر على نوم الغفلة الذي أدى إلى هيمنة الحكّام المستبدين على المجتمع والشعب. وأخيراً يصوّر انغماس المجتمع في الذلّ والهوان للقارئ ويقول إنّنا أرواح يكرهنا الذل والعار ويعبّران عن اشمئزازهما إيانا والذل يخجل من وجودنا وأيضاً علم الطب يمرض بسبب وجودنا نحن.

ورداً على من ينتقد شعر مطر ويعتقد أنه ابتعد عن لغة الشعر وسقط في مستنقع الخطباء، لا بد من القول إنّ أحمد مطر شاعر ناقد رافض اختار الشعر كأداة للتعبير عن رفضه. (غنيم، ١٩٩٨: ١٠٦) ويبدو أنّ الشاعر أعطى لنفسه صورة واضحة عن طبيعة الشعر واللغة والغرض منهما. إذا كان هو نفسه يعتقد أنّ الشعر ينسجم مع العصر ويعبّر عن روح العصر باستخدام لغة العصر والالتزام بالظروف الحالية للمجتمع والعصر ولذلك يجب مراعاة الخصائص اللغوية لكلّ عصر. (نفسه: ١٠٧)

دراسة لمضامين ومواضيع شعر أحمد مطر

١- الوطن

يعدّ حبّ الوطن من أهم مكونات الأدب المقاوم والذي يقدم في قصائده من زاويتين: إحداها أنّه شعر بالغربة والحنين إلى الوطن وتحدث عن فراقه في غربته. وثانيها أنّ شاعر يعيش اضطراراً في المنفى وينخرط في صراعات سياسية لتحرير وطنه من نير الاستعمار.

أحمد مطر ترك بلاده لأسباب سياسية ويتذكر وطنه دائماً ولم يفقد الانتماء إليه. يعتبر وجوده وكيانه كله للوطن ويعتبره مقدساً إذا يتمنى أن يموت كي يعيش الوطن، وهو يقول:

« أبي وطن/أمي وطن/ رائدنا حُبّ الوطن/ نموتُ كي يحيا الوطن» (نقلاً عن: زارع‌درنیانی، ١٣٩٦: ١٨٠)

على الرغم من تقليبه بـ"شاعر بلا حب" (مجيدي وحيدري، ١٣٨٥: ٥٠٥) لأنه لم يذكر الحب في قصيدته، إلا أنّ الحب الذي يكتب عنه هو حبّ لمسقط رأسه ووطنه وحرية الإنسان من نير الظلم. فهو يرى في ديوانه أحاديث الأبواب يرى نفسه كمليكة أسيرة في عاصفة الآلام والتي تشتاق للوطن. فهو يفضّل حبّ الوطن على حبّ الحبيبة قائلاً:

«أنا يا حبيبة/ ريشة في عاصفة المحن/ أهفو إلى وطني» (مطر،١٣٩١: ١٣٣)

في الحقيقة، فإنّه فهم الحب ولكنه لم يكن أمامه خيار في الحب لأنّه أمام مصائبه العديدة العظيمة مثل ريشة هائجة العواصف القوية ولكنه دائماً يفكر في وطنه ويشتاق إليه من منفاه القسرية.

«أعرف الحب ولكن/ لم أكن أملك في الأمر اختيارا/ كان وفإنّ الأسى يهدر في صدري/ وكان الحبّ نارا/ فتوارى/ كان عصفوراً يُغنّي فوق أهدابي/ فلما أقبل الصيّاد طارا!!!» (المصدر نفسه: ٢٥٢)

إنُه شاعر ملتزم يحب وطنه ويقول إنّه رغم نفي عنك إلا أنّ حبّك دائماً في قلبي ويصنع المعجزات:

«يا وطني/ ضقت في قلبي/ وكنت لي عقوبة/ وكنت أنت ضاربي وموضع الضربِ/ طردتني/ فكنتَ أنت خطوتي/ أصبحتَ في خبى/ معجزة/ حينَ هوى قلبي فدى قلبي/ يا قاتلي/ كفاك أن تفتلتي/ مِن شدة الحب» (مطر نقلاً عن: زارع‌درنیانی، ١٣٩٦: ١٨٠)

٢- الحرية

تمت دراسة الحرية في الأدب الكلاسيكي على نطاق واسع ولكن لا بمعناه اليوم بالطبع، إذ كان في القديم تتعلق أكثر بعدم وجود تعلقات مادية وتشجيعاً لنا كي نتحرر من أيّ لون ننتمي إليه. أمّا في الأدب المعاصر، تعتبر مضمون الحرية والمطالبة بها مفهوماً أوسع أدى إلى توسيع نطاق مطالب هذا العصر. (وفائي، ١٣٨٧: ٤٥٩)

في الأدب العربي الحديث يُستمد مفهوم الحرية من مواضيع الشعر والقصص النابعة من الظروف الاجتماعية للمجتمع حيث يوائم كتاباتهم مع القضايا الاجتماعية في العالم العربي. (شفيعي كدكني، ٢٠٠١، ج٢: ٤٨)

الحرية هي الشغل الشاغل للشعراء المعاصرين. يرى الشعراء أنّ جذور الفشل والبؤس والدمار والضياع هي عدم الحرية. أحمد مطر يحبّ الحرية وقد تحدث عنها كثيراً في أعماله. أعظم مظاهر الحرية في أعمال أحمد مطر هو الشوق والحنين إليها. في ديوانه «الأعمال الشعرية الكاملة» لاسيما في قصيدة الانتقام، يأمل أن تصرخ البذور الموجودة في قاع التراب يوماً وتثأر للأغصان المقطوعة والأزهار الزابلة وهو يقول:

«قطفوا الزهره/ قال: من وراث بُرعم سوف يثور/ قطفوا البرعم.... قالت غيره ينبض في رحم الجزور/ قاعوا الجزور من التربه.../ قالت إنّنى من أجل هذا اليوم/ خبّأت البذر/ كامن ثأري بأعماق الثرى/ وغداً سوف يرى كلّ الورى/ كيف تأتي صرخة الميلاد من صمت القبور/ تبرد الشمس/ ولا ثارات الزهور» (مطر، ٢٠٠٨: ٣٣٧)

يصف مطر الاختناق في المجتمع العربي ويعتبر الصمت أمامه علامة على البقاء حيّاً. في رأيه يرى الحكّام العرب الحرية على أنها استهزاء بالأوامر الإلهية التي يحاولون تفسيرها بطرائق أخرى:

«أنا لا أكتب الأشعار/ فالأشعار تكتبنى/ أُريدُ والصمت كي أحيا/ ولكن الذي ألقاه ينطقني/ ولا ألقى سوى حُزن/ على حُزن/ أ أكتبُ أنني حي/ على كفني؟/ أ أكتب أنّني حر/ وحتى الحرف يرسف بالعبوديه/ لقد شيعت فانته/ تسعى في بلاد العرب تخريباً وإرهابا/ وطنا/ في القوانين الألهيه/ ولكن اسمها والله/ لكن اسمها في الأصل الحريه» (المصدر نفسه: ٣٩)

٣- رفض الظلم

يسلّط أحمد مطر الضوء على الفروق الطبقية الموجودة في المجتمعات العربية من خلال تنوع معاني المفردات، ممّا يبرز الاختلافات الكبيرة والفجوات الاقتصادية والاجتماعية العميقة التي تؤكد على ظلم هذه الطبقات الفقيرة. في هذا السياق، يشير الشاعر إلى شعره ويستخدمه لتوثيق الحقيقة التاريخية المتمثلة في أنّ الحكام العرب أصبحوا أثرياء للغاية في عهدهم، وهذا يعد علامة واضحة على الفساد في الأنظمة العربية. يقارن مطر أيضاً الوضع الاجتماعي والاقتصادي للحكام العرب قبل وبعد وصولهم إلى السلطة قائلاً:

«جاء الخمسة من صحراء/سكنوا بيتاً بالإيجار/جاؤوا عطشى جوعى هلكى/كل منهم حاف عار/يكسوهم بؤس الفقراء/يعلوهم قتر وغبار/ربّ البيت لطيف جداً/أسكنهم أعلى الدار/خرج المالك من منزله/سرق الخمسة قوت الأسرة/واتهموا الطفلة أبرار/ثم رأوا أن تنفى الأسرة/واتخذوا في الأمر قرار/طردوا الأسرة من منزلها/ثم أقاموا حفلة زار/أكلوا شربوا سكروا رقصوا/ضربوا الطبلة والمزمار/باعوا الماء وغاز المنزل/وابتاعوا جزراً وبحار/وأقاموا مدناً وقصوراً/وحدائق فيها أنهار/وتنامت ثروتهم حتى/صاروا تجّار التجّار» (نقلاً عن: أغبارية، ٢٠٢٠: ١٤٧)

إنه يستخدم السخرية كمحتوى لنقده للظلم والتعسف الراهن. ويبدو أنّ السخرية تساعده في نقل رسالته ممّا يدل على أنّ الظلم والتعسف الذي تعرضه الناس عظيم ومؤلم. يقول:

«نحن لسنا فقرا/ بلغت ثروتنا ميليون فقير/ وغدا الفقر لدى أمثالنا/ وصفاً جديداً للثراء/ وحدة الفقرا لدنيا/ كان أغنى الأغنياء» (مطر،٢٠٠٨: ٤٧٦)

من حيث الأساليب الشعرية يتضمن شعر مطر على أنواع مهمة من الأساليب الشعرية التي تمّ استخدامها في علم الدلالات والتوثيقات الأدبية والتاريخية. فأحمد مطر يفاجئ قرائه لأنّهم في الوقت الذي يتوقعون فيه غلبة الخيال والانحراف عن الواقع والحقيقة في الشعر ولكن الشاعر يستخدم أسلوباً سردياً لتقديم القصة الرئيسية لهم.

أحمد مطر يدرك زمانه ورفضه يكون بلهجة حادة ومباشرة ومتهورة. ممّا لا شك فيه أنّ أسلوب السرد مثير وجذّاب لقرّاء الشعر. الشاعر يعيش ويشعر ويعبّر عن الواقع الذي يواجهه الناس ومجتمعه. يلتزم مطر باستخدام شعره لإثارة آلام الناس وآمالهم وأن يؤمن بأهداف الثورات ومساعيها.

٣- رفض الواقع الراهن المشين

٣-١- انتقاد مجتمع غارق في نوم الغفلة

من أهم مضامين شعر مطر أنه ينتقد الشعوب العربية بسخرية مرة ويخبرهم أنّ المنبه أيقظني هذا الصباح وقالت لي يا عرب حان وقت النوم:

« صباح هذا اليوم/أيقظني منبّه الساعه/ وقال لي: يا ابن العرب/ قد حان وقت النوم!» (مطر،٢٠٠٨: ٩٠)

مطر يخلق مفارقةً بين منبّه الساعة وهو وسيلة لإيقاظ الناس وتحوله إلى وسيلة لدعوة الناس للنوم. في مكان آخر في انتقاده لنوم غفلة الشعوب العربية يتساءل مطر أنّه لمن ينشد القصيدة؟ عندما يكون الناس أعمى وأصم. لمن يتغني بالشعر؟ والناس لا يزالون مطايا للحمير وقصده بذلك الحكّام العرب قائلاً:

« تكتبُ الشعر لمن/ والناس ما بين أصم وضرير/ تكتب الشعر لمن/ والناس ما زالوا مطايا للحمير؟ » (المصدر نفسه: ٢٤٥)

٣-٢- نقده لانتقادات رؤساء الأنظمة العربية تجاه مأساة فلسطين

يكتب أحمد مطر قصيدة في شكل قصة رمزية ضدّ الحكّام الخونة جلاوزة الكيان الصهيوني. يصف العالم العربي بأنّه فيل كبير يعجز أمام إسرائيل وهي نملة صغيرة في الحجم والقوة. وهو يرى أنّ هؤلاء الحكّام أذلّوا المجتمع العربي بإطفاء أيّ شعلة احتجاج ورفض وهو يقول:

«النملة قالت للفيل/ قم دلّكني/ ومقابل ذلك ضحّكني/ واذا لم أضحك عوّضني/ بالتقبيل والتمويل/ وإذا لم أقنع قدّم لي/ كلّ صباح ألف قتيل/ ضحك الفيل/ فشاطت غضبا/ تسخر مني يا برميل/ ما المضحك في ما قد/ قيل؟!/ غير أصغر/ لكنك أكثر مني/ غيرك أكبر/ لكن لبي وهو ذليل/ أي دليل؟/ أكبر منك بلاد العرب/ وأصغر مني اسرائيل!» (مطر،٢٠٠٨: ٤٣٧)

مطر يغني للقدس المظلوم ويشير إلى عرقلة هؤلاء الحكّام أمام الثوار الذين يدافعون عن فلسطين قائلاً:

«يا قدس معذرة ومثلي ليس يعتذر/ أنا اللهيب وقادتي المطر/ فمتى سأستعر؟!» (المصدر نفسه: ٣١)

٣-٣- التعبير عن الجرائم

بسخرية مريرة يتحدث أحمد مطر عن جرائم تجفف الضحك على شفاه الجمهور وهو يقول:

«الخراطيم/ أثبتت أنّ السجين/ كان من عشرة أعوام/ شريكاً للذين/ حاولوا نسف مواخير أمير المؤمنين/ نظر القاضي طويلاً في ملفات القضيه/ بهدوء ورويه/ ثم لما أدير الشك ووافاه اليقين/أصدر الحكم بأن يعدم شنقا/ عبرة للمجرمين/ أعدم اليوم صبي/ عمره سبع سنين!» (مطر،٢٠٠٨: ١٦٨)

كما يعترض على الجرائم التي ارتكبها مسؤولو جهاز القضاء. وهو يعترض على تعرض شاب للتعذيب والاستجواب قبل توجيه الاتهام إليه. حيث قطعوا شفتيه وطلبوا منه الاعتراف بالجريمة غير أنهم أصبحوا عاجزين إنطاقه وأخذ الاعتراف بالجريمة فقاموا بشنقه. وبعد شهر أدركوا أنّ الشاب لم يكن الشخص الذي كانوا يبحثون عنه بل المذنب هو أخوه. فبرأوه وذهبوا إلى أخيه. كما عُثر على الأخ أيضاً ميتاً بسبب الخوف والقلق. يقول مطر:

«حبسوه/ قبل أن يتهموه !/ عذّبوه/ قبل أن يستجبوه! قصّوا شفتيه!/ طلبوا منه اعترافا/ ولما عجزوا أن ينطقوه/ شنقوه!/ بعد شهر برّأوه!. أدركوا أنّ الفتى/ ليس هو المطلوب أصلا/ بل أخوه/ بل أخوه/ ومضوا نحو الأخ الثاني/ ولكن وجدوه ميتاً من شدة الحزن» (المصدر نفسه: ١٠١)

الخاتمة

أحمد مطر شاعر ساخر تناول الرفض والمقاومة في شعره. في جزء من مجموعته الشعرية يمكن العثور على مواضيع أدب المقاومة مثل: حبّ الوطن، والحرية، ومقارعة الظلم والفقر، وعدم الرضا عن الوضع الحالي. التعبير عن الألم في لغة أحمد مطر الشعرية مؤلم وبسخرية مريرة. هو يتأمل وضعه السياسي والاجتماعي، وآلام وطنه ومعاناته، حيث يستخدم المفردات والقصائد بكل ما في وسعه ليعكس معاناة مواطنيه والعالم العربي، والنبرة التي نجد في شعره هي نبرة صريحة وحادة تنتقد بها مرتكبي هذا الظلم والقمع. لهذا الشاعر حبّ عميق لوطنه، ولكن لأسباب سياسية اضطر للهجرة من وطنه، ولذلك لقصائده روح ثورية، وقد استخدم الشعر لخدمة أغراضه وأهدافه.

تظهر قصائده المدروسة أنّ الشعر يمكن أن يساعد في توثيق الأحداث التاريخية وتكريسها من خلال أساليب شعرية وفنية مختلفة. في هذا الصدد، أظهرت هذه الدراسة أن قصائد أحمد مطر مهمة ليس فقط بسبب بلاغتها، ولكن بسبب توثيقها التاريخي للأحداث أيضاً.

فهرس المصادروالمراجع

أ. الفارسية والعربية

-زارع‌درنياني، عيسى. (١٣٩٦) «البنى المشتركة للأدب المقاوم في قصائد أحمد مطر ونصرالله مرداني دراسة مقارنة». مجلة دراسات الأدب المقارن (جامعة رازي كرمانشاه إيران)، السنة ٦، عدد ٤٩، صص ١٩٤- ١٧٣. (بالفارسية)

-شفيعي كدكني، محمد رضا. (١٣٨٠) الشعر العربي المعاصر. ط١. طهران: منشورات سخن. (بالفارسية)

-غنيم. كمال أحمد. (١٩٩٨) عناصر الإبداع الفني في شعر أحمد مطر. ط١. القاهرة: مكتبة مدبولي.

-مجيدي حسن؛ ومحمد حيدري. (١٣٨٩)، «مفهوم الحرية في شعر أحمد مطر». مجلة الأدب المقاوم بجامعة الشهيد باهنر كرمان إيران. السنة ١٢، عدد ٣ و٤، صص ٥٠٨-٥٠٥. (بالفارسية)

-مطر، أحمد. (١٣٩١)، أحاديث الأبواب. ترجمة: إياد فيلي. طهران: آوگان

-مطر، أحمد. (٢٠٠٨)، الأعمال الشعرية الكاملة، لندن: دارالمحبين.

-نجات، سيد حميد. (١٣٩٤)، دراسة مقارنة لموضوع الاحتجاج في شعر أحمد مطر وعلي رضا قزوه. رسالة ماجستير، اللغة العربية وآدابها، المشرف: الدكتور سيد محسن حسيني مؤخر، جامعة لرستان الإيرانية.

-فتحي‌دهكردي، صادق؛ ومحمد رضائي وآخرون (١٣٩٩) «أشكال التعبير عن الواقعية السياسية في شعر أحمد مطر». مجلة اللغة العربية وآدابها، جامعة طهران فرع الفارابي بقم. السنة ١٦، العدد ٤٤، صص ١٨٤-١٦١.

ب. اللاتينية

Ben Lazreg, Houssem.(2016 (Five Villains by Ahmad Matar. *Multingual discourses*, n. 1, pp.1-8. Access on October 2016.

Harel-Shalev, Ayelet. Daphna-Tekoah, Shir. (2016) Bringing Women's Voices Back In: Conducting Narrative Analysis In IR, *International Studies Review*, Vol. 18, No. 2, pp. 171-194. Access on March 2016.

Lanchovichina, Elena (2018) Eruptions of Popular Anger: The Economics of the Arab Spring and its Aftermath,Washington, DC: The World Bank.

Salahuddin Mohd, Shamsuddin and Sara Hj. Ahmad (2017) Authenticity of classical Arabic and its relation to Aristotelian Logic (In the opinion of some orientalists and Arab scholars), *World Journal of Education*, Vol. 7, No. 4. Access on 2017.

Shamsuddin, Salahuddin Mohd. Hj. Ahmad, Siti Sara. (2017) Authenticity of classical Arabic and its relation to Aristotelian Logic (In the opinion of some orientalists and Arab scholars), World Journal of Education, Vol. 7, No. 4. Access on August 2017.

Simon. George A. (2015) Poetry and The Arab Spring. CUNY Academic Works,no 2. Pp. 1-56. http://academicworks.cuny.edu/gc_etds/624.

Tanenbaum, Adena. (2002) Poetry and History Beautiful Death: Jewish Poetry and Martyrdom in Medieval France. Princeton and Oxford: Princeton University Press.

الهوامش:

[1] - Igbaia

[2] - Harel-Shalev

[3] - Daphna-Tekoah

[4] - Cook

[5] - Simon

[٦]- .واجه مصطلح "الربيع العربي" لانتقادات لأنه لم يتحقق إلا القليل في مجال الإصلاح الديمقراطي. لأن معظم بلدان ثورات الربيع العربي دخلت مرحلة من العنف وعدم الاستقرار بدلاً من بناء الديمقراطيات النابضة بالحياة المستمرة. (غانم ، ٢٠١٦: ٧) استخدم الباحث هذه الكلمة لمعرفة القراء بها. لعبت قصائد أحمد مطر دوراً بارزاً في الاحتجاجات والمظاهرات الواسعة في تلك الفترة التاريخية.

[7] - Lanchovichina

[8] - Tanenbaum

[9] - Gluzman